المصدر: اخـــر ســاعــة

التاريخ : ١٩٧٦/٢/١٨

صور من حياتى

الطـريق الذى بـدأ من "ميت أبو الكوم"

• لم يكن الرئيس انور السـادات فى حديث الذكريات يروى قصة حياته فقط .. وانما كان يكشف عن مرحلة نابضة من تاريخ النضال المصرى .. وقد وضع بذلك النقط على الحروف بالنسبة لكثير من الامور : شرارة التحرك الوطنى فى الجيش المصرى خلال الحرب العالمية الثانية .. جمال عبد الناصر ودوره فى تشكيل خلايا الضباط الاحرار .. محمد نجيب وعلاقته بثورة يوليو منذ المواجهة مع الملك فاروق فى معركة نادى الضباط .. وكان الرئيس السادات ـ كعادته ـ امينا وصادقا .. وكان واضحا وصريحا .. واعطى بحديثه درسا فى التاريخ الحقيقى لثورة مصر .. كما اعطى ـ فى نفس الوقت ـ درسا فى الوفاء والالتزام الثورى .. لقد قال السادات كلمة الحق فى موضعها الصحيح

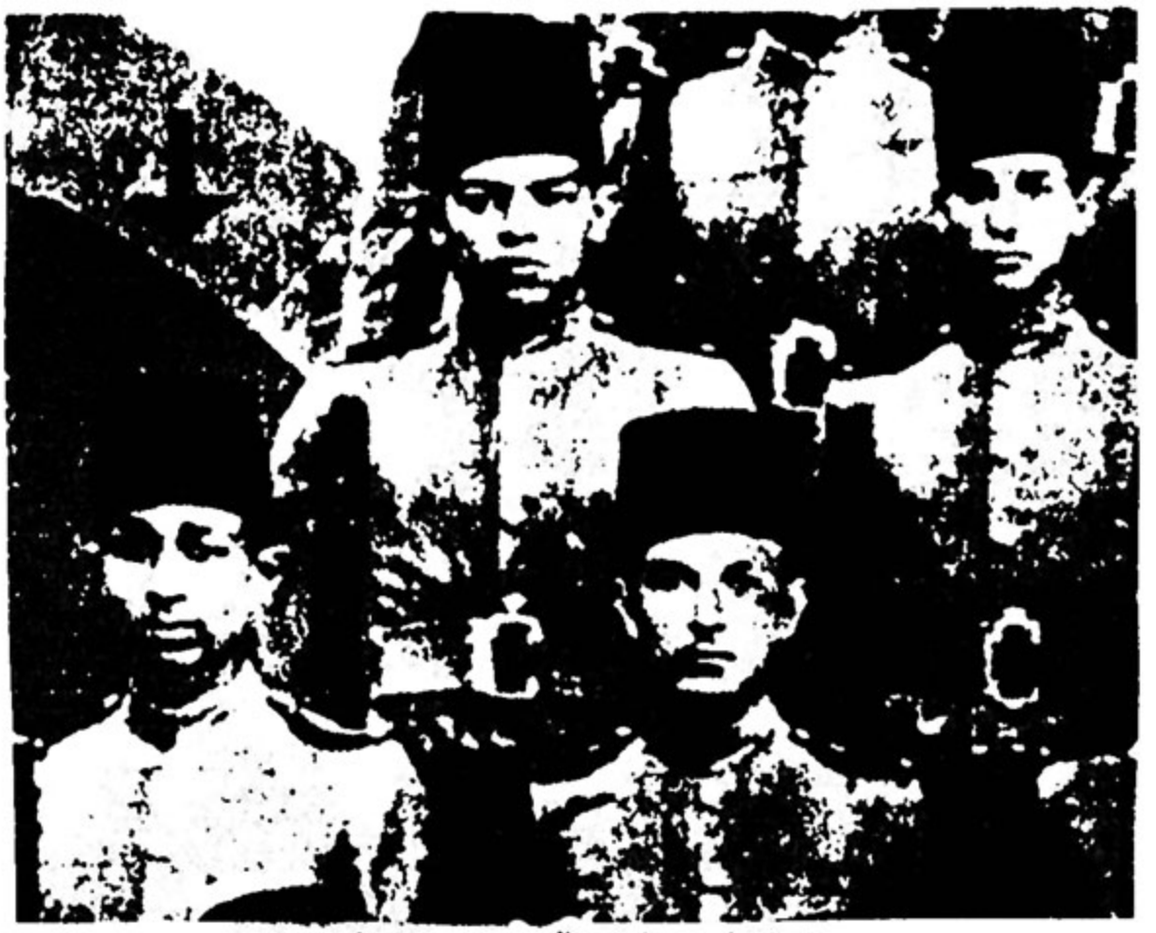

★ نشأت هنا فى قرية ميت ابو الكوم من اسرة متواضعة جدا ـ وولدت يوم ٢٥ ديسمبر ١٩١٨ ـ وكان والدى يعمل فى السودان مع الجيش المصرى فى ذلك الوقت .. والحقت كتاب القرية حيث تعلمت القراءة والكتابة وحفظت القرآن على يد الشريف ـ الشيخ عبد الحميد عيسى ـ وكانت جدتى تتولى امورى باعتبارها راس الاسرة لوجود والدى فى السودان ، وقررت ان تنقلنى من الكتاب الى المدرسة لكى تؤهلنى للتعليم العام .. ولكنها لم يكن هناك اية مدرسة فى القرية ولذلك التحقت بمدرسة الاقباط الكائنة بدير الاقباط فى « طوخ دلكة » على مسافة كيلو متر من ميت ابو الكوم .. وكان هدف جدتى ـ التى لا تقرأ ولا تكتب ولكن لها حكمة وفلسفة التجربة ـ ان اسلك نفس طريق ابناء الاسرة بدلا من الازهر لكى اتوظف فى الحكومة .. وقد تعلمت الكثير من جدتى وكنت انام فى الفناء على مواويل دنشواى وادهم الشرقاوى

★ في سنة ١٩٢٤ وقعت حادثة السردار وخرج الجيش المصرى من السودان ـ بعد استقالة سعد زغلول احتجاجا على الانذار البريطانى ـ وعاد والدى والتحق بعمله فى كوبرى القبة .. واخذنى الى القاهرة معه لاكمل تعليمى وغادرت القرية ولكننى احتفظت باخلاقياتها معى ، واكتشفت فارقا كبيرا بين مجتمع القرية المتضامن المتكافل وبين مجتمع المدينة الكبيرة ..

ووجدت والدى يضع صورة اتاتورك فى صالة البيت باعتباره بطلا اسلاميا يقود ثورة تركيا بعد الحرب العالمية الاولى ، وتدرجت فى الدراسة الابتدائية حتى جاءت سنة ١٩٣٠ وكان اسماعيل صدقى قد الغى الدستور ووجدت نفسى مشتركا فى الاضراب ضد صدقى ، وبعدها خرجت فى مظاهرة ضد الانجليز وكانت احتجاجا على تصريحات وزير الخارجية البريطانى ((صمويل هول)) ضد مصر فى قاعة ((الجلد هول)) ..

★ في سنة ١٩٣٦ دخلت الكلية الحربية ـ وكان منتهى املى ان اصبح ضابطا في الجيش لكي استطيع ان اصنع شيئا من اجل بلدى ـ وكان هتلر وقتها قد تولى الحكم في المانيا وقام بتجربة رائعة للنهوض بها في سنوات قليلة .. وكانت المحسوبية في ذلك العهد هي جواز الدخول للكلية الحربية وكانت ((الواسطة)) اساس القبول في كشف الهيئة .. وبعد تخرجي في الكلية الحربية بدات كفاحي السياسي على صورة تثقيف نفسي ، وكنت قد سافرت الى الاسكندرية في اول تعييني بالجيش ثم نقلت الى منقباد في الصعيد ، وانتسبت الى المعهد البريطاني لكي احصل على شهادة (بتشلر اوف آرت)) وفوجئت بان كتاب ((ضحى الاسلام)) للمرحوم احمد امين من المراجع الهامة المطلوبة للدراسة ، وكنت قد بدات نقافتي بكتاب ((خواطر)) لاحمد امين وطلبت قائمة المراجع من مكتبة المعارف بالفجالة ..

★ بعد انتقالى الى منقباد بستة شهور نقلت الى العمل في سلاح الاشارة في القاهرة وكانت عملية التثقيف والعمل السياسى تمضى في خط واحد وكان يريد حماسنا ـ نحن الضباط الشبان ـ ويدفعنا الى ذلك اكثر الاحساس بالمرارة من جهتين : من ناحية قادتنا في الجيش الذين لم يكونوا على المستوى المطلوب من العلم والثقافة وكانوا يحاولون تعويض نقصهم بالاستبداد نحونا .. ومن ناحية البعثة العسكرية البريطانية التى حلت محل الضباط الانجليز فى قيادات الجيش المصرى بعد معاهدة ١٩٣٦ وكان استبدادهم وغطرستهم يدفعنا نحو اكمال العمل السياسي الذى نتصوره ، وفوجئنا سنة ١٩٤٢ ـ وكنت قد نقلت الى الصحراء الغربية ـ بان روميل والجيش الالمانى قد وصل الى العلمين بضربة واحدة للجيش الثامن البريطاني واصبح على مسافة ٧٠ كيلو مترا من الاسكندرية .. وكنت وقتها مبعدا لنشاطى السياسى فى الاتصال مع عزيز المصرى والشيخ حسن البنا ..

★ بعد محاولتى الاتصال بروميل ـ وفى ليلة القدر ـ طردت من الخدمة فى الجيش بأمر ملكى ثم اعتقلت وامضيت شهرين فى سجن الاجانب ثم نقلت الى معتقل المنيا فى فالوسة (سنة ١٩٤٣) ثم معتقل الزيتون (سنة ١٩٤٤) ثم استطعت الهروب من قصر العينى لاننى اضربت عن الطعام فى المعتقل وبقيت هاربا لمدة عشرة شهور حتى الغيت الاحكام العرفية فى سبتمبر ١٩٤٥ ومضت ثلاثة شهور فقط وفى يناير ١٩٤٦ دخلت السجن مرة اخرى وامضيت فيه ٢١ شهرا حتى يونيو ١٩٤٨ ثم اشتغلت صحفيا فى دار الهلال ثم عملت مقاولا مابين حلوان والشرقية والفيوم واضطررت للعمل فى بعض الاحيان سائقا وشيالا لكى احصل على لقمة العيش .. وانتهت هذه الرحلة فى ١٥ يناير ١٩٥٠ عندما عدت الى الجيش ..

★ جمال عبد الناصر تولى تنظيم الضباط الاحرار من نهاية ١٩٤٢ بنفسه . وكان عقلية منظمة جدا . وابتدا بالخلايا .. ولم يكن احد يعرف عنه شيئا بالرغم من وجود خمسة اجهزة فى الدولة وراء التنظيم وبعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ اشتركنا كضباط احرار فى حركة الكفاح المسلح بالقناة ضد الانجليز . وفى عام ١٩٥١ انشا جمال عبد الناصر قيادة التنظيم او ما يسمى بالهيئة التاسيسية للضباط الاحرار . وفى عام ١٩٥٢ فى اوائل يناير اجتمعنا فى بيت حسن ابراهيم فى مصر الجديدة لنحدد موعد قيام الثورة .

★ نزلت من رفح وغزة الى العريش وقابلت حسن ابراهيم فى المطار وقال لى : جمال يقول لك انزل بكره فى ٢٢ يوليو لان المشروع نضج والتنفيذ احتمالا فى يوم يبدا من ٢٢ يوليو الى ٣ اغسطس وفعلا ركبت القطار لاصل الى القاهرة فى الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ٢٢ يولية ولم اجد جمال فى انتظارى بالمحطة كما هى عادته وعرفت انه كان يتصل بخلايا الضباط الاحرار فى ذلك الوقت . وقد ترك لى فى منزلى ((كارت)) قال فيه ان المشروع يتم الليلة قابلنى فى بيت عبد الحكيم بالعباسية . ويجب ان ننصف الحقيقة وننصف التاريخ .. جمال هو الذى انخذ قرار قيام الثورة وهو الذى قدم الثورة عن موعدها الذى اتفقنا عليه من نوفمبر الى يوليو .

★ كان لى حديث طويل مع جمال عبد الناصر ونحن نعد لقيام الثورة وكانت هناك وجهتا نظر قال جمال لا بد من ضابط كبير نضمه لنا حتى لا يحدث بيننا ما يثير حساسيات اذا حاولنا ان نختار واحدا منا ليتولى الرياسة . وكان هناك ثلاثة مرشحين لهذه العملية الاول عزيز المصرى والثانى كان محمد نجيب الذى دخل به جمال معركة التحدى فى نادى الضباط وكسبها والثالث كان الله يرحمه اللواء احمد فؤاد صادق وكان قائدا للقوات فى حرب ١٩٤٨ . ووقع الاختيار على نجيب وعندما نجحت الثورة واصبحت القوات المسلحة تحت السيطرة الكاملة لتنظيم الضباط الاحرار واستلمت التمام بنفسى من جميع الوحدات عندئذ اتصل جمال عبد الناصر باللواء محمد نجيب وارسل عربة مدرعة احضرته من بيته فى حلمية الزيتون الى مجلس قيادة الثورة فى كوبرى القبة .

★ ان كل ما حلمت به تحقق وكان هـذا سر زهدى لانه يوم انتخب جمال انتهى عملى فى مجلس قيادة الثورة واخذنا قلادة النيل. وكان اتفاقى مع عبد الناصر ان فى ١٩٦٩ انا معتزل الحياة السياسية بالكامل ولا منصب لا فى مجلس الامة ولا فى وزارة . وساذهب الى بيت ابو الكوم على دار السلام التى بنيتها سنة ١٩٦٠ من معنى القرآن ((ان الآخرة هى دار السلام)) .. ثم كانت الكارثة وانا لا زلت اقول واكرر انا مسئول معاه لانى نائبه وقـد استامنى على البلد وهذا ما جعلنى استمر مع انى كنت مقررا انه فى ١٩٦٩ ساكون فى مكانى هنا احيا حياة عادية .

★ ما زالت هناك امنيات كثيرة اريد أن احققها واولها واساسها آن يكون كل مصرى ومصرية مؤمن على حياته فى المدينة وفى القرية وفى النجع وفى البادية وفى اى مكان على ارض مصر يكون مؤمن على حيـــاته او حياتها ضد الفقر والمرض والعجز والشيخوخة والموت . وقد اعطيت تعليماتى للوزارة لتنجز هذا ابتداء من السنة الحالية . وقد انجز جزء كبير منها .. واتمنى قبل اى شىء آخر تحرير سيناء . وهذه أمنياتى فى الوقت الحاضر .